

الطريق إلى طشقند

د. عبد الباقي إبراهيم

رئيس مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية

الأهرام ١٩٩٢/٦/٢٩

طشقند هي عاصمة أوزباكستان من الجمهوريات الإسلامية في آسيا الصغرى وكانت قبل الثورة البلشفية عاصمة إقليم تركستان الذي كان يضم الجمهوريات الخمس: أوزباكستان وتركمانستان وطاجيكستان وقرجستان وكازاخستان. وطشقند هي أكبر عواصم هذه الجمهوريات ومركز صناعي وثقافي هام فيها، لم يعد الطريق إلى طشقند يمر بموسكو بعد إستقلال أوزباكستان عنها ، فقد بدأت الطرق تصل إليها مباشرة من جدة ومن إسلام آباد شرقاً واسطنبول غرباً حاملة الزيارات والاستثمارات.

وجمهوريات أوزباكستان تحمل مقومات سياحية هامة فلديها مخزون كبير من العمارة والآثار الإسلامية في سمرقند وبخارى وايفا غرباً وترمز وخوارزم جنوباً، كما تتحلى الجبال الخضراء وقمم الثلوج والبحيرات شرقاً تنتظر جميعها الاستثمار الأجنبي الذي أصبح مطلباً أساسياً في التنمية الاقتصادية بعد فشل النظام الشيوعي. والدولة من ناحية أخرى تنتظر الاستثمار الخيري لبناء المراكز الإسلامية التي تضم الواحدة منها المسجد والمدرسة والمكتبة والمطعم والمشغل وهذا مسمى جديد، يختلف في مفهومه ومضمونه عن المراكز الثقافية القديمة التي كانت تضم المسرح وقاعة الموسيقى والاستعراضات. فهذه الدول لا تزال تحمل مخزوناً كبيراً من القيم الإسلامية وإن كانت ممارستها للشعائر قد توقفت من سبعين عاماً ... فالتحية العادية لا تزال السلام عليكم وردها وعليكم السلام ورحمة الله.... ولا تزال الدعوات الصالحات تؤدي قبل الاجتماع وبعده.... ولا تزال القيم الاجتماعية متأصلة في الغالبية العظمى من الشعوب.

وها هو آذان العصر يرفع مرة أخرى مردداً الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح... الله أكبر .. الله أكبر.. نداء يهز الأرض كما يهز الوجدان... النظافة من الإيمان هو الشعار السائد، عادة خلع الحذاء عند دخول المسكن لا تزال متأصلة في المجتمع، مؤسسات الإيمان تديع برامجها على الشاشة الصغيرة، تعلم القراءة والكتابة بالعربية كما تعلم تلاوة القرآن..

هكذا في لحظة وجيزة من الزمن بدأت تقام المساجد بعد غلقها أو هدمها وهكذا عاد الإنسان المسلم إلى سيرته الأولى يؤدي أركان الدين الخمسة ويعمل بكل طاقته على الإنتاج والإبداع، ولكنه لا يزال يحتاج إلى من يأخذ بيده في هذه المرحلة... مرحلة التحول من النظام الشمولى إلى النظام الإسلامي.. لقد عاش سبعين عاماً لا خيار له .. يوجهه و لا يوجهه .. وهو الآن يقف والخيار له وهو أمر لم يتعود عليه .. يريد من يسانده على الخيار واتخاذ القرار.. يريد الموجه التنموى كما يريد الموجه الإسلامى.. وهنا تظهر الحاجة إلى المعونة المتكاملة التي ترتبط فيها الدعوة الإسلامية بالمعونة الاقتصادية. هنا تظهر الحاجة إلى الاستثمار المتكامل في أمور الدين والدنيا. وأوزباكستان غنية برجالتها كما هي غنية بمواردها التي كانت موجهة إلى الإتحاد السوفيتي من قبل وهي الآن ملك يمينها.. فهي تمتلك الذهب الأصفر.. كما تمتلك الذهب الأبيض ... القطن الذى يمثل ٦٥% من إنتاج الإتحاد السوفيتي سابقاً وتمتلك أيضاً الذهب الأسود في مناطقها الشمالية وقد بدأت الشركات السعودية والأمريكية في إستخراجه.. وتمتلك مع كل ذلك الذهب السياحي في مخزونها المعماري والأثرى وجمال جبالها الخضراء الذي لا ينضب.

الطريق إلى طشقند أصبح مفتوحاً أمام كل من يريد التعامل والتعاون، ومن يريد الإستثمار أو الإتجار، ومن يريد التبادل العلمي والثقافى .. لقد انغلقت أوزباكستان عن العالم سبعين عاماً وها هي تفتح أبوابها ولكنها لا تعرف إلى من تتجه فهي لا تزال تتحسس الطريق .. ولكنها تفتحه للجميع .. العام والخاص .. فالقطاع العام فيه لا يزال قائماً ولا يمنعه مانع من التعاون مع القطاع الخاص فى أى وجه من أوجه التنمية الإقتصادية أو الإجتماعية أو الثقافية. وأخيراً تم التعاقد على بروتوكول للتعاون العلمى والمهنى والاستثمارى بين مجموعة من خبراء العمارة والتخطيط فى طشقند وأحد المراكز الاستشارية المصرية يتبعه تعاقدات على العديد من المشروعات العلمية والمهنية، وجاءت الدعوة من الجانب الاوزباكستانى الذى رحب بالإستشارى المصرى وإستضافه وفتح له كل أبواب التعاون فى المجالات المعمارية والتخطيطية والثقافية والإستثمارية.. لقد أصبح التنظيم والإدارة مطلباً هاماً فى مرحلة التحول السياسى والإقتصادى الذى تمر به البلاد، التنظيم فى إعداد المشروعات ودراسات الجدوى والإدارة فى التعامل مع النظم العالمية والإمكانات المتاحة لا تساعد على سفر الاوزباك إلى الخارج للتعرف على ملامح العالم الجديد الذى ظل بعيداً عنهم لفترة طويلة من الزمن.. فلا أقل من السعى إليهم .. فعندهم الكثير.. فالتضحية فى الحاضر لها مردودها الوافر فى المستقبل.. وإذا كانت العملة واللغة تقفان حاجزاً أمام إنفتاح الاوزباك على الخارج فإن هناك دوراً هاماً أمامهم لتطوير أنفسهم للقفز على هذا الحاجز الكبير..

إن مرحلة التحول الإقتصادى الذى تمر به أوزباكستان فى الوقت الحاضر يجر معه العديد من الأنشطة التجارية التى تسعى إلى إستيراد المنتجات الإستهلاكية من الخارج التى طالما تطلع إليها المجتمع المحروم .. وقد يؤدى هذا الإتجاه إلى تأخر معدلات التنمية الحقيقية فى الدولة الجديدة. الأمر الذى يستدعى الإسراع بجذب الإستثمار والإنتاج من الخارج خاصة من الدول الغنية فى العالم الإسلامى الذى تتطلع إليه أوزباكستان بكل الأمل والرجاء، الأمر الذى لا يحتمل التأخير أو التهاون فإن لم يسارع الأغنياء من العالم الإسلامى سبقهم غيرهم ممن لديهم القدرة على الحركة والمروعة ووضع الأقدام فى كل مكان.. وهنا لن يجد المستثمرون المسلمون مكاناً لهم على أرض أوزباكستان، إذ بح صوتها عن دعوتهم وإستضافتهم، فهم بالنسبة لها الأولى والأحق وذلك من واقع الروابط الإسلامية التى تربطها بهم ولكن هذه الروابط لها قوة تحمل محدودة بمحدودية الحاجة والزمن، فالجزء لمن يسبق.. هذه هى سمات عالم اليوم .. هذه هى سمة الحياة لمن يريد الحياة.

يقول نعمان عباس وزير البيئية فى أوزباكستان أن دولته تتطلع إلى مساعدة الدول الإسلامية كما ترغب فى التعرف على خبراتها وتجاربها التنموية.. كما يقول حسن الدين عصاموف حاكم طشقند السابق ورئيس مؤسسة طشقند للتصميم والبحث والأبنية العامة إن العالم الاسلامى لا بد وأن يكون كالجسد الواحد. فالإسلام هو دين الإنسانية ..لقد مارسنا الشيوعية والآن وقد رجعنا إلى الحق ..إلى الله، فإننا ننتظر من أخواننا المستثمرين المسلمين أن يساعدونا فى هذه المرحلة الهامة من مراحل بناء دولتهم الجديدة ، ويقول عليموف برهان نائب محافظة طشقند أن مستقبل أوزبكستان يرتبط بمستقبل العالم الاسلامى فهى الآن جزء منه تنتظر التفاعل مع أجزائه الأخرى حتى تندفق الدماء فى شرايينها وتبعث فيها الحياة . كما يقول فيروز أشرفى رئيس إتحاد المعماريين فى أوزبكستان أنه يتطلع للتعاون بين المعماريين المسلمين فى كل مكان من العالم الإسلامى فلدى أوزبكستان مخزون كبير من العمارة الإسلامية ، هذا بخلاف مخزونها الحضارى.. فمنها خرج الإمام البخارى من بخارى.. ومنها خرج ابن سينا كما خرج الترمذى من ترمز والإمام النسائى والديلمى

والكاساني والزخرفي ، كما خرج الخوارزمي من خوارزم ، وهما هو يولات زهدوف رئيس هيئة صيانة الآثار الإسلامية
يشرح مدى إهتمام الدولة للحفاظ على تراثها التاريخي العريق..

هذا هو الطريق إلى طشقند .